

بشير أبازيد أشعل ثورة أم حرباً أهلية في سوريا

أشد معارضي الأسد تحول من فكرة إسقاطه إلى أن النظام لا يستطيع أن يحكم كما كان



انتفاضة السوريين قد تعود في يوم ما



فارقا في مجريات الأحداث، ما أعطى الأسد نقطة قوة في المفاوضات التي كانت ترعاها روسيا والأمم المتحدة في أستانة.

وفي ضوء تلك التطورات، تشكلت رؤية جديدة لدى بعض القوى الإقليمية وخاصة في بعض العواصم العربية مضمونها أن الحل السلمي للآزمة السورية يعد الخيار الأنسب لمعالجة الملفات الشائكة كالإعمار وقضايا الحدود والإرهاب واللاجئين، وبالتالي تم إغفال النظر عن وجود النظام السوري في أية تسوية سياسية أو سلمية لحل الأزمة.

فارقا في مجريات الأحداث، ما أعطى الأسد نقطة قوة في المفاوضات التي كانت ترعاها روسيا والأمم المتحدة في أستانة. وحتى يدعم أركان سلطته في وجه التدخل التركي والأميركي كوّن الأسد تحالفات أساسية مع إيران ورائعه حزب الله اللبناني إضافة إلى دعم الصين، التي رفضت التدخل العسكري في سوريا، حيث جاء دعمها نكائية في الولايات المتحدة وسياساتها

فالثورة لن تنتهي ولن يحلم بحكم سوريا مثلما كان في السابق. وأشار في تلميح للقوى الغربية التي لم تتدخل ضد الأسد خلال الصراع بالقول إن "الثورة انطلقت... فقط هو الخذلان من الدول التي تدعي حقوق الإنسان وتركتنا لمصيرنا".

كيف أجهضت الثورة

في ظل انقلاب الموازين، بات أشد المعارضين للنظام السوري مجبرين على التخلّص من فكرة إسقاط الأسد، فهو ممسك بزمام الأمور في المناطق، التي تسيطر عليها قواته، ويسعى إلى ولاية رئاسية أخرى في الانتخابات المقررة بعد أسابيع، فقد خفّت جذوة أمانهم ليتحولوا إلى التركيز على أن الأسد لن يستطيع أن يحكم كما كان في السابق.

وتتناغم مواقف عدد من السوريين مع مواقف أغلب البلدان العربية وحتى القوى الدولية المعارضة للنظام السوري، بأنه لا مفر من إدخال بشير الأسد في تسوية سياسية ممكنة مستقبلا. وكانت قوات الأسد تسيطر في 2016 على 26 في المئة من المساحة الجملية للبلاد، ولكن بعد أربع سنوات من التدخل العسكري الروسي لدعم النظام أصبحت تسيطر على 60 في المئة من الأراضي. ويقول محللون إن استرجاع النظام لمدينة حلب، التي كانت تحت سيطرة قوات المعارضة، وغيرها من المدن الحيوية والاستراتيجية، وأكثر من نصف مساحة سوريا الجغرافية، شكلت

إلى تركيا المجاورة، كيف أجبره أحد أفراد قوات الأمن السورية على الاعتراف تحت الضغط والإكراه بأنه نقش شعارا يقول "أجك السور يا دكتور" في إشارة إلى الأسد.

وأطلقت السلطات سراح أبازيد بعد أيام، حين خفّت الجولة الأولى من المظاهرات الحاشدة المطالبة بالديمقراطية من القبضة الحديدية للسلطات وبدأت قوات الأمن تلجأ إلى قتل المحتجين السلميين.

وبعد سنوات من إراقة الدماء والفوضى، تمكن أبازيد وأفراد أسرته في النهاية من مغادرة درعا في مايو 2017 واتجهوا إلى تركيا حيث يعمل هو الآن في مجال التشييد. ولا تزال تراوده الكوابيس عن دبابات تعبر في شوارع حي مكتظ بدرعا وأقارب وأصدقاء قتلوا وعن آخرين حملوا السلاح ما فاقم الأمر إلى اندلاع حرب أهلية مدمرة.

لا عودة للأسد موجود

أصبح أبازيد والعديد من سكان مدينته اليوم من بين ملايين اللاجئين الذين أسسوا حياة جديدة في دول مجاورة وابتعد من ذلك في أوروبا دون أي نية للعودة في أي وقت قريب.

ويخشى الكثيرون من تجديدهم في الجيش أو اعتقالهم ويعلمون أن بلدانهم وقرابهم التي كانت مفعمة بمشاعر مناهضة لحكم الأسد تعرضت للسلب والدمار.

ولم يبق سوى عدد يحصى على أصابع اليد من السكان الأصليين لحي أبازيد الأصلي وهو حي الأربعين في درعا، والشوارع أغلبها أصبحت مهجورة. وقال البعض لرويتز عبر رسائل صوتية على الإنترنت إن السخط تنامي مجددا منذ أن استعادت قوات الأسد بدعم من قوة جوية روسية السيطرة على المدينة واستعادتها من يد المعارضة المسلحة في 2019.

وأشاروا إلى أن الشرطة استأنفت قمعها وسط دمار اقتصادي، بينما أعادت السلطات تماثيل وصورا ضخمة للأسد ووالده الراحل في الأماكن العامة التي كانت قد دُمّرت ومُرقت في الأيام الأولى للانتفاضة.

ويسرّد أبازيد ما حصل بمرارة قائلا "لم يتغير شيء منذ الأيام التي هتفنا خلالها بالحرية. طالبنا بحقنا لكن النظام المجرم لم يتعلم شيئا وازداد وحشية ودموية وتمسكا بالسلطة".

لكن أحلام الثورة لا تزال تراود أبازيد ويقول "حتى لو بشير سيطر

شاهد السوريون، ولا يزالون، أهوالا في خضم الصراع ببلادهم على مدار عقد من الزمن، ولم تفلح المؤسسات والهيئات الدولية في وقف ما يتعرضون له من كافة الأطراف، وخاصة النظام، في ظل غياب محاسبة المسؤولين عن ذلك. ونتيجة لما حصل أصيب اللاجئون الذين ساهموا في إطلاق شرارة الانتفاضة في عام 2011 بصدمة بالغة إثر وقوفهم على الثمن الإنساني الفادح، الذي دفعه الناس بعد أن تحولت الاحتجاجات السلمية إلى حرب أهلية مدمرة.

عمان - يبدو الثابت بعد كل سنوات الحرب، التي جعلت سوريا دولة مدمرة واقتصادها منهيارا أن نظام بشير الأسد لم يسقط ولم تفلح الاحتجاجات، التي تفجرت في مارس 2011، في إحداث تغيير كان أغلب السوريين يمتنون النفس بأنه سيحصل في وقت وجيز، ليتحول إلى حرب أهلية هي الآن.

ويعد أن تمكن النظام من استعادة مناطق واسعة من الفصائل المسلحة المدعومة من تركيا والمتشددين الإسلاميين. وبدعم من الحليفتين إيران وروسيا، تواصل قوات الأسد معركتها لاستعادة آخر معقل للمعارضة في شمال غرب البلاد.

وتمّة من يرى أن الأمور قد لا تسير كما كانوا يشتبهون، فعندما اعتقل الصبي السوري بشير أبازيد قبل عقد لكتابته شعارات مناهضة للحكومة على جدران مدرسته، لم يكن يتخيل أبدا أن انتفاضة ستندلع وستفضي إلى تدمير بلاده، وهو محبط بسبب ما جرى.

ويروي أبازيد، الذي بلغ الآن الخامسة والعشرين من عمره، في حديثه مع رويتز من تركيا، التي يعيش فيها بعيدا عن مدينته درعا الواقعة في جنوب غرب سوريا قائلا "هذه الأحداث كسرت فينا أشياء كثيرة. سلبت منا طفولتنا، سلبت منا الفرحه وسلبت منا السعادة. هذه الأحداث كبرتنا قبل أواننا".

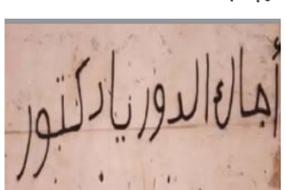
وباتت درعا مهدا للانتفاضة وما أعقبها من تمرد مسلح ضد الأسد بعد أن جرى اعتقال أكثر من عشرين فتى من بينهم أبازيد وتعذيبهم على يد الشرطة السورية بسبب كتابة شعارات ضد الرئيس.

وكان التحدي الذي أبداه الصبية شبيها بأحداث أطلقت شرارة انتفاضات بدول أخرى منها تونس ومصر، كما كتف التعامل الوحشي معهم أثناء الاعتقال عن ظهور استياء قديم كان يغلي تحت السطح.

وتطور الأمر إلى احتجاجات في الشوارع قوبلت من قوات الأمن المدججة بالسلاح بإطلاق النار. وانتشرت الاحتجاجات على مستوى البلاد وتفاقت إلى حرب أهلية دمرت أغلب سوريا قبل أن يخمد الأسد المعارضة المسلحة بمساعدة من روسيا وإيران.

ويتذكر أبازيد، وهو واحد من بين أكثر من مليوني سوري فروا من الحرب

عمران - يبدو الثابت بعد كل سنوات الحرب، التي جعلت سوريا دولة مدمرة واقتصادها منهيارا أن نظام بشير الأسد لم يسقط ولم تفلح الاحتجاجات، التي تفجرت في مارس 2011، في إحداث تغيير كان أغلب السوريين يمتنون النفس بأنه سيحصل في وقت وجيز، ليتحول إلى حرب أهلية هي الآن.



بشير أبازيد أحد مشعلي شرارة الثورة في درعا وقد عذب على يد الشرطة السرية للاعتراف بأنه نقش شعارا على الجدار يقول "أجك الدور يا دكتور"

وفي ظل انقلاب الموازين، بات أشد المعارضين للنظام السوري مجبرين على التخلّص من فكرة إسقاط الأسد، فهو ممسك بزمام الأمور في المناطق، التي تسيطر عليها قواته، ويسعى إلى ولاية رئاسية جديدة في الانتخابات المقررة بعد أسابيع، فقد خفّت جذوة أمانهم ليتحولوا إلى التركيز على أن الأسد لن يستطيع أن يحكم كما كان في السابق.

عدم الاستسلام للواقع

يبدو أن الأسد أصبح في وضع آمن بعد أن ظل باقيا في الحكم رغم المعارضة المسلحة، التي شكلت في وقت من الأوقات أكثر التهديدات خطورة على حكم أسرته منذ أن خلف والده

الأخطار التركية - الإيرانية تقرب دول الخليج من شرق المتوسط

والسعودية. وتم تفسير هذا التحول في الموقف التركي على أنه رد فعل لنتيجة الانتخابات الرئاسية الأمريكية الأخيرة وتغيير ساكن البيت الأبيض، لكنه أيضا رد فعل للتعاون المتزايد بين خصوم أنقرة الإقليميين.



سبت فرانتسمان
تحالفات دول الخليج
وشرق المتوسط
ستزداد قوة مستقبلا

ويرى فرانتسمان مؤلف كتابي "ما بعد داعش: أميركا وإيران والكفاح من أجل الشرق الأوسط" و"حروب الطائرات المسيرة.. آلات القتل والذكاء الاصطناعي والمعركة من أجل المستقبل"، أن هناك أسبابا اقتصادية أيضا وراء تقرب أربوغان من مصر. فقد قال وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو قبل أيام إن بلاده "تسعى إلى توقيع اتفاق لترسيم الحدود البحرية مع مصر".

في هذه الأثناء، أشارت الرياض وأبوظبي إلى انفتاحهما على تحسين العلاقات مع تركيا، لكن هناك نقاطا خلافية ما زالت قائمة بين الجانبين مثل دعم أربوغان لجماعة الإخوان المسلمين التي تعتبرها مصر والسعودية والإمارات جماعة إرهابية، والتنافس التركي السعودي الأوسع نطاقا على النفوذ في العالم الإسلامي.

الأميركي جو بايدن لاستئناف الجهود الدبلوماسية مع طهران. ومن المرجح أن يكون الأوروبيون وبخاصة الفرنسيين سعداء بالمشاركة في حماية شرق المتوسط من محاولات التوسع التركية. كما سيرحب الأوروبيون بإمدادات الغاز الطبيعي القادمة من تلك المنطقة الاستراتيجية لتقليل اعتماد القارة الأوروبية على إمدادات الغاز القادمة من روسيا أو عبر خطوط الأنابيب العابرة للأراضي التركية.

لكن بعض القادة الأوروبيين، الذين تابعوا في الصيف الماضي حادث اصطدام بين سفينة حربية تركية وأخرى يونانية في شرق المتوسط، يشعرون بالقلق من احتمالات صعوبة السيطرة على الخلافات البحرية بين أثينا وأنقرة. في المقابل، فإن إيران وتركيا ردتا على هذه التحالفات الجديدة بطريقة مختلفة تماما. فالنظام الإيراني يتعامل مع هذه التطورات بزيادة سياساته العدائية تجاه دول الخليج العربي وإسرائيل، والاعتماد على استراتيجيتها الدائمة باستخدام الميليشيات الموالية لها في لبنان وقطاع غزة والعراق واليمن لمهاجمة هذه الدول، في الوقت الذي تتبنى فيه تركيا منهجا أكثر تصالحية للتعامل مع هذه التطورات.

فخلال الأسابيع الأخيرة، أشارت حكومة الرئيس رجب طيب أردوغان إلى رغبتها في ترميم علاقاتها مع الدول العربية وبخاصة مع مصر

ويشير فرانتسمان المولود في ألمانيا والحاصل على درجة الدكتوراه في التاريخ من الجامعة العبرية بإسرائيل في تحليل نشرته وكالة بلومبرغ للأنباء، إلى أن هذه التجمعات تمثل فرصا وتحديات في الوقت نفسه بالنسبة للولايات المتحدة وأوروبا.

وعلى سبيل المثال يمكن أن يقلل التعاون بين إسرائيل والدول العربية من عبء المحافظة على الأمن والاستقرار في الشرق الأوسط بالنسبة للولايات المتحدة، لكن رفض هذه الدول الجماعي للتكليف مع الطموحات النووية الإيرانية يمكن أن يعقد جهود الرئيس



التهديدات الأمنية تحتم تعزيز التحالفات

وإلى جانب التدريبات العسكرية متعددة الأطراف، انضمت السعودية والإمارات واليونان إلى تجمعات دبلوماسية متعددة الأطراف أيضا، مثل منتدى قبليه الذي عقد في أثينا الشهر الماضي وحضرته اليونان وإسرائيل وقبرص والسعودية ومصر والبحرين والإمارات.

كما تم توقيع اتفاقيات تعاون اقتصادي متعددة الأطراف مثل منتدى غاز شرق المتوسط، الذي يضم اليونان وقبرص ومصر وإسرائيل والأردن والسلطة الفلسطينية إلى جانب إيطاليا وفرنسا.

ولا يختلف موقف فرانتسمان عن رأي الكثير من المتابعين، فهو يعتقد أن الإطاحة بالحكام المستبدين في المنطقة من العراق إلى ليبيا وترجع رغبة الولايات المتحدة في التدخل في قضايا الشرق الأوسط تسببا في حالة من فراغ القوى، الذي سعت إيران وتركيا إلى ملئه. ولذلك دفعت هذه التطورات دول الخليج العربية وشرق المتوسط إلى التعاون معا بطرق كانت تعتبر في السابق إما مستحيلة وإما غير ضرورية.

ودفعت التهديدات الإيرانية للتناقضات، كلا من الإمارات والبحرين إلى تجاوز عدائهما القديم لإسرائيل وتوقيع اتفاقيتي سلام (اتفاقيات أبراهام) معها نهاية العام الماضي. ورغم أن اليونان ليست من دول جوار الإمارات والسعودية، فإن الدول الثلاث يجمعها القلق من الطموحات التركية في ما تعتبر أفنية خلفية لهذه الدول، مما دفعها إلى تعزيز علاقاتها الأمنية، وتجسد ذلك حينما شاركت طائرات إماراتية وسعودية في تدريبات عسكرية يونانية مؤخرا.

أصبحت دول الخليج العربي أقرب إلى مراجعة تقارباتها الجيوستراتيجية جراء ما فرضته حقائق الأمر الواقع، التي تمر بها منطقة الشرق الأوسط في ظل التهديدات الإيرانية، ويبدو أنها ستجد في بلدان شرق المتوسط، التي تبحث بدورها عن تعزيز تحالفاتها بوجه الأطماع التركية، مكانا ملائما حتى تواجه التحديات المستقبلية بهدف تعزيز أمنها الإقليمي.

لندن - يتابع المراقبون باهتمام بالغ ما ستؤول إليه التحالفات الاقتصادية والأمنية الناشئة في منطقة الشرق الأوسط وشرق البحر المتوسط، والتي من المرجح أن يؤدي ترابط الدول العربية وكل من قبرص واليونان وإسرائيل إلى تحولات كبيرة في كلتا المنطقتين.

وتعتبر التوترات بين دول الخليج العربي وشرق المتوسط من ناحية، وبعض القوى الإقليمية الأخرى وبخاصة تركيا وإيران من ناحية ثانية، من أهم أسباب التقارب بين تلك الدول حاليا، لأن علاقات من هذا النوع تستند إلى المصالح سريعة التقارب بين أطرافها وتدعمها شراكات في مجال الطاقة والأمن.

ويرى المحلل السياسي سبت فرانتسمان أن هذه التحالفات الجديدة تمثل التغييرات الكبيرة التي شهدتها الأوضاع الجيوسياسية والاقتصادية في المنطقة منذ نهاية الحرب الباردة، والتي ظلت لعقود عديدة أساس التحالفات الإقليمية في الشرق الأوسط وشرق المتوسط. لكن الاحتمالات الأقوى هي أن تحالفات دول الخليج العربي ودول شرق المتوسط ستزداد قوة ودعما في المستقبل.